معلقة لبيد بن ربيعة العامري (أبيات الحفظ)

عَفَتِ الدّيارُ مَحلُّها فَمُقامُها بِمنىً تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها

فَمَدافِعُ الرَّيَّانِ عُرّيَ رَسْمُها خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيُّ سِلامُها

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنيسِها حججٌ خَلَوْنَ حَلالُها وَحَرَامُها

رُزِقَتْ مَرَابيعَ النُّجُومِ وَصابَها وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُها فرِهامُها

مِنْ كلّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجاوِبٍ إرْزَامُها

فَعَلا فُرُوعُ الأَيْهُقانِ وِأَطْفَلَتْ بالجَلْهَتَينِ ظِباؤها وَنَعامُها

وَالعِينُ ساكِنةٌ عَلى أَطْلائِها عُوذاً تَأَجَّلُ بِالفَضاءِ بِهامُها

وَجَلا السُّيُولُ عَنِ الطّلُولِ كأَنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أَقْلامُها

أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةٍ أُسِفَ نَؤُورُها كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وِشَامُها

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُها، وَكَيْفَ سُؤَالُنا صُمًّا خَوَالِدَ ما يَبِينُ كَلامها

من هو لبيد بن ربيعة العامري؟

أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري من عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن، قدم على النبي مع وفد قومه بني جعفر بن كلاب، فأسلم وحسن إسلامه، فهو أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين، ومن أشراف المجيدين الفرسان القراء المُعمَّرين.

وأبوه ربيعة بن مالك المكنى(ربيعة المقترين) لكرمه قتلته بنو أسد وعمه أبا براء عامر بن مالك مُلاعب الأسنة في يوم ذي علق ولبيد آنذاك لم يتجاوز التاسعة من عمره، ولقب عمه بهذا الاسم لقول أوس بن حجر فيه:

فلاعب أطراف الأسنة عامر فراح له خط الكتيبة أجمع

أما أمه فهي تامرة بنت زنباع العبسية إحدى بنات جذيمة بن رواحة. ويكاد يكون تاريخ مولده مجهولاً، لذلك فهو مصدر تباين بين المؤرخين ولو أخذنا بأخبار الأغاني إنه مات في آخر أيام معاوية بن أبي سفيان وكان عمره مئة وخمسة وأربعين عاما (١٤٥) لعَلِمنا أنه ربما يكون قد ولد سنة ٥٣٤م تقريباً لأن الاصفهاني يرى إن الشاعر عاش تسعين سنة في الجاهلية وخمسة وخمسين في الإسلام. ومهما يكن فأن لبيداً كان من المعمرين فعمره لم ينقص عن مئة وعشر سنوات.

وفي الإسلام كان لبيد من القوم الذين حسُن إسلامهم، ويظهر أن الإسلام كان عميقاً في نفسهِ، يدل على ذلك سؤال الوليد بن عقبة عما كان بينه وبين الربيع بن زياد عند النعمان. فقال له لبيد: هذا كان من أمر الجاهلية. وقد جاء الله عز وجل بالإسلام. ولما كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة، أن

يستنشد شعراء المصر، أرسل إلى لبيد فقال له: إن شئت فاعفني. فقال ألا أنشدتني ما قلت في الإسلام؟ فكتب له سورة البقرة في صحيفة، ثم أتى بها وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر. فزاد عمر في عطائه خمسمائة.

ويقال بأنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً يشكر فيه ربه الذي أنعم عليه بنعمة الهداية والرشاد:

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

وقبل أن يأتي الإسلام، كان قلب لبيدا مفعماً بالإيمان بالله، مطبقاً لكثير من الشواهد على قوة إيمانه بالله وبالموتِ والحياة.

وغاية القول إن لبيداً أسلم، وأتى المدينة فأقام فترة فيها، ثم هاجر إلى الكوفة لعهد عمر بن الخطاب، وقضى فيها بقية حياته، مقبلاً على القرآن الكريم، يحفظه ويتأمل أبعاده ومراميه .

توفي سنة (٤١هـ -٦٦١م)

- **تحليل معلقة لبيد بن ربيعة العامري** :

كان لبيد من أشراف الشعراء المجيدين المقدمين، عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، له ديوان ينطوي على كثير من أغراض الشعر وفنونه، وأشهر مافيه المعلقة، تعد الرابعة بين أخواتها، ولم ينظمها لأمر أو لحادثة وإنما نظمها بدافع نفسي، فمثّل بها، في تصويره أخلاقهِ ومآتيه، الحياة البدوية الساذجة والبدوي الأبي النفس العالي الهمة.

وقد بدأها بوصف الديار المقفرة والأطلال البالية وما فعلت فيها الأمطار، وتخلص إلى الغزل وذكر نوار وبُعِد مقرها، ثم إلى وصف ناقته فشبهها بسحابة حمراء خالية من الماء تدفعها الريح فتنطلق سريعة، وبأتان وحشية نشيطة، وببقرة افترس السبع ولدها، وصوّر العراك الذي وقع بينها وبين الكلاب التي طاردتها تصويراً قصصياً جميلاً. ووصف ناقته هو أهم قسم في معلقتهِ، ثم تحول إلى وصف نفسه وما فيها من هدوء واضطراب ووصف لهوه وشربه الخمر وبطشه وسرعة جواده وكرمه . وانتهى بمدح قومه والفخر بكرمهم وأمانتهم. فكان مُجيداً في تشبيهاتهِ القصصية، صادقاً في عاطفتهِ. وقد أظهر في وصفهِ مقدرة نادرة في دقتهِ وإسهابهِ والإحاطة بجميع صور الموصوف. وهو يتفوق على زملائه أصحاب المعلقات بإثارة تذكارات الديار القديمة وتحديد المحلات في أثناء السفر حتى ليمكن دارس شعره أن يعيّن بالاستناد إلى بعض قصائدهِ دليل رحلة من قلب بادية العرب إلى الخليج الفارسي.

ولبيد في مستهل القصيدة تحدث وأسهب في وصف الخمرة وآثارها، وفي وصف المحبوبة التي دائماً ما كانت تأخذ حيزاً كبيراً في معظم القصائد والمعلقات قديماً .

ففي البيت الأول يريد أن يقول درست منازل الأحبة وانمحت أثارهم ما كان منها للحلول المؤقت دون الإقامة وماكان منها للإقامة الدائمة، وهذه المنازل كانت بالموضع المسمى منى وقد توحشت أي لم يبق فيها أنيس.

وفي البيت الثاني يصور مجاري المياه الموجودة في جبل الريان وقد درست رسومها وصارت بالية وهي تشبه كتاباً خط في حجارة لا يظهر من بعيد لان النقش ليس بشيء مخالف للون الحجارة وإنما يظهر لمن يقرب منه وكذلك تلك الرسوم.

والبيت الثالث يريد إن آثار ديار الأحبة قد مر عليه بعد مفارقة أهلها لها سنون عديدة وكل سنة منها تشتمل على ثمانية أشهر حلال وعلى أربعة أشهر حرام . وإن تلك الديار والدمن المذكورة رزقها الله أمطار الأنواء الربيعية وأنزل الله عليها مطر السحائب المصحوبة بالرعد وما كان منه غزيراً وفي البيت الخامس يقول ان الأمطار المذكورة في البيت السابق هي مؤلفة من كل مطر سحابة آتية ليلاً ومن مطر سحاب آت غدواً يلبس آفاق السماء بكثافته وتراكمه ظلمة.

وفي البيت السادس يريد أن ارتفعت فروع الجرجير البري في ديار الأحبة وذلك لكثرة الأمطار التي أصابتها وتوالدت الغزلان وفرخ النعام بجانب الوادي وذلك لخلو الديار من ساكنيها.

في الابيات السابقة يلاحظ إن توظيف الفن البلاغي الطباق كان له دور كبير في تصوير ديار الأحبة التي درست (غاد- عشية، حلالها وحرامها)

وفي البيت السابع يقول إن ديار الأحبة صارت مسكناً للوحش بعد إن كانت مسكناً للإنس فترى البقر قد تكاثر فيها وإناثه قد عكفت على أولادها ترضعها في حال كونها حديثات النتاج.

وفي البيت الثامن يقول إن السيل قد مر فوق الطلول فكشف عن بياض وسواد فهي شبيهة بكتاب قديم قد محيت كتابته ودرست فأعيدت كتابة بعضه؛ وترك مايبين منها وقد كان للتوظيف البلاغي أيضاً دور مهم عن طريق التشبيه.

وفي البيت التاسع يقول إن ديار الأحبة التي اجتاحتها السيول شبيهة بكتاب قد تطمس، أو هي شبيهة بترديد واشمة وشماً قد ذرت نؤورها والنؤور هو ما يُتخذ من دخان السراج والنار.

وفي البيت العاشر وقف الشاعر يسأل الطلول عن سكانها ثم تساءل متعجباً فقال: وما يجدي سؤالِنا حجارة صمّاً لا تتكلم فهو يشير إلى إن الداعي إلى هذا السؤال إنما هو فرط الشوق وشدة الوله بالأحبة وهذا مستحسن في النسيب والمراثي؛ لأن الغرام والمصائب يدهشان صاحبهما.